

موقف الإمام أبي منصور الماتريدي من الفكر المتطرف

كمال الدين نور الدين مرجوني

جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، برونای دار السلام

kamaluddin.nur@unissa.edu.bn

الملخص

يهدف هذا البحث إلى إظهار موقف الإمام أبي منصور الماتريدي من الفكر المتطرف الذي ينتشر في ربوع واسعة في الأمة بشكل مخيف تحت غطاء الشعارات الدينية، واعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال رصد نصوص كتابي (تأويلات القرآن وكتاب التوحيد) للإمام أبي منصور الماتريدي بالإضافة إلى الإطلاع على التطورات الفكرية المعاصرة بما فيها الحركات المتطرفة. وأكد البحث على أن الأدوات الأمنية وحدها لن تنجح في إخماد نار الفكر المتطرف، وحصيلة البحث تبين أن الإسلام دين سماحة ورحمة ورفق، وأن هذه المنظومة الفكرية الوسطية هي التي تعبر عن حقيقة هذا الدين الحنيف الذي لا عوج فيه وهي أيضا تؤدي في نفس الوقت إلى بناء الحضارة الإنسانية على مر التاريخ، وكذلك أنه لا يجوز الخلط بين الدين والتدين، وبين الفكر الإسلامي الصحيح وأفكار المتطرفين، لأن هؤلاء المتطرفين نقلوا صورة الإسلام ليس على وجهها الصحيحة، فعارضوا أصالة الفكر الإسلامي المعتدل، وذلك أن الدين شيء وسلوكيات المتطرفين شيء آخر. وبهذا فمن الضرورة الإهتمام بالعقيدة ومكانتها في التوعية الدينية من خلال التعريف بوسطية الدين الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الفكر الإسلامي المعاصر، التطرف الفكري، التكفير، وسطية الإسلام.

Abstract

This research aims to show the position of *Imām Abu Manṣūr al-Māturīdi* from the extremist ideology that has spread worldwide in a frightening manner under the cover of religious slogans. The research based on the descriptive analytical method by monitoring the texts of my book (Interpretations of the *Qur'ān* and *Kitāb al-Tawhīd*) by Imam Abu Manṣūr al-Māturīdi, in addition to reviewing contemporary intellectual developments, including extremist movements. The research emphasized that the security tools alone will not succeed in extinguishing the fire of extremist thought, the outcome of the research shows that *Islām* is a religion of tolerance, mercy and kindness, this moderate intellectual system is the one that expresses the truth of this true religion that has no crookedness, and it also leads at the same time to building human civilization throughout history. Likewise, it is not permissible to confuse religion and religiosity, with the correct Islamic thought and the ideas of extremists, because these extremists conveyed the image of *Islām* not in its correct form, so they opposed the originality of moderate Islamic thought, because religion is one thing, and the behavior of extremists is another thing. Thus, it is necessary to pay attention to the doctrine and its place in religious awareness by introducing the moderation of the Islamic religion.

THE POSITION OF *IMĀM ABU MANṢŪR AL-MĀTURĪDI* ON INTELLECTUAL EXTREMISM

المقدمة

إن التطرف ليس ظاهرة حديثة، وإنما هو ظاهرة في التَّدُّين بالشكل المبالغ فيه عرفه تاريخ الفرق الإسلامية، والغلو في الدين يُعدُّ من أسباب التطرف الفكري وصور من صوره، وله جذور تاريخية بدأت منذ ظهور الخوارج كأول فرقة سياسية دينية، والتطرف في حد ذاته ظاهرة اجتماعية ذات صلة كبيرة بالظروف التاريخية، والسياسية، والدينية، والاقتصادية التي تحكم مسار المجتمع في أي مكان أو دولة. ومن الملاحظ أن الغلو يرتبط إلى حد كبير بالتستر بالدين وبالجمود في الفكر الديني، ومن هذا المنطلق، فحاولنا في هذا البحث قدر الإمكان أن نلفت الانتباه إلى معالجة هذا التطرف الفكري من جانب العقيدة الإسلامية، وذلك بإظهار وسطية الإسلام.

وقد عالج هذا البحث خمسة مباحث، وهي:

المبحث الأول: مفهوم التطرف الفكري.

المبحث الثاني: خلفية التطرف الفكري في الإسلام.

المبحث الثالث: التطرف الفكري ظاهرة عقائدية.

المبحث الرابع: الفكر التكفيري وخطورته.

المبحث الخامس: الإسلام وحرية الإنسان.

المبحث الأول : مفهوم التطرف الفكري

تشق كلمة التطرف من الجذر اللغوي (طَرَفَ: الطاء، والراء، والفاء)، وطرف كل شيءٍ منتهاه، ورجل طَرَفٌ ومُتَطَرَفٌ ومُسْتَطَرَفٌ: "لا يثبت على أمرٍ"^١. والرجل الطرف أي الذي لا يثبت على امرأة ولا صاحب^٢. الطَّرَفُ: طَرَفُ العين، والطَّرَفُ: الناحية من النواحي^٣. ويُعرف التطرف بالإنجليزية (Extremism)^٤، وهذا المصطلح جديد في الثقافة العالمية، فلا توجد كلمة "التطرف" بالمعنى المقصود في القواميس والمعاجم اللغوية القديمة، مثل لسان العرب، ومعجم مقاييس اللغة، وتهذيب اللغة، والقاموس المحيط، وإنما وردت في معجم اللغة العربية المعاصرة بأن التطرف هو: "المغالاة السياسية أو الدينية أو المذهبية أو الفكرية، وهو أسلوب خطير مدبر للفرد أو الجماعة تبذل بعض الدول جهودًا مضنية للقضاء على التطرف الإرهابي"^٥، ومُتَطَرَفٌ (مفرد): اسم فاعل من تطرف/تطَرَّفَ في. أي صاحب نزعة سياسية أو دينية تدعو إلى العنف^٦، ومن مرادفات "تَطَرَّفَ" كما جاء في معجم الكمال للمتبادلات: "جَاوَزَ، غَالَى، أَغْرَقَ، أَسْرَفَ، بَالَعَ، هَوَّلَ، تَخَطَّى"^٧.

واضح مما سبق أن التطرف هو غلو، وتجاوز، وإسراف، ومبالغة في الأشياء. ويعني التطرف اصطلاحًا أنه: "أفكار أيديولوجية غير متوسطة أو معتقدات خاطئة"^٨. وتعني كلمة مُتَطَرَفٌ بالتحديد^٩: "الفرد الضعيف الذي يقوم بتغيير تصورات، ومعتقداته، بسبب التعرض لتأثير (قد يكون عبر الإنترنت أو منشورًا أو اتصال مباشر بين شخص وآخر) ليصبح أكثر تطرفًا بطبيعته مما قد يؤدي إلى أعمال متطرفة"^{١٠}.

^١ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤٤٨/٣، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٩٩٧م.

^٢ لسان العرب، ابن منظور، ٢١٣/٩، دار صادر، بيروت-لبنان، ١٩٩٧م.

^٣ تهذيب اللغة، الأزهري، ٣٩٦/٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ٢٠٠١م.

^٤ Extremism, Collins dictionary, Retrieved 18/2/2021. Edited

^٥ كلمة "تَطَرَّفَ"، معجم اللغة العربية المعاصر، د. أحمد مختار عمر، ١٣٩٦/٢، عالم الكتب، بيروت-لبنان، ٢٠٠٨م.

^٦ كلمة "مُتَطَرَفٌ"، معجم اللغة العربية المعاصر، د. أحمد مختار عمر، ١٣٩٧/٢، عالم الكتب، بيروت-لبنان، ٢٠٠٨م.

^٧ كلمة "تَطَرَّفَ"، معجم الكمال للمتبادلات، كمال الدين نور الدين مرجوني، ص ٩٤، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠٢١م.

^٨ Terrorism vs. Extremism: Are They Linked?

<https://www.aucegypt.edu/news/stories/terrorism-vs-extremism-are-they-linked>

^٩ ما هو التطرف، محمد الخفاجي، ١٩ فبراير ٢٠٢١.

https://sotor.com/%D9%85%D8%A7-%D9%87%D9%88-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B7%D8%B1%D9%81/#cite_note-d07758af_29ea_4351_8508_b20210a52e47-7

^{١٠} Defining extremism / radicalisation and types of extremism

<https://www.middlesbrough.gov.uk/community-support-and-safety/prevent/defining-extremism-radicalisation-and-types-extremism>

وكما قلنا سابقا بأن مصطلح (التطرف) مصطلح جديد في الثقافة العالمية، فلم يرد في القواميس والمعاجم اللغوية القديمة، وهكذا لم نجد أيضا هذا اللفظ في مؤلفات الإمام أبي منصور الماتريدي، ولذلك وجدنا أنه قد استخدم مصطلح (الغلو) في بيان التطرف الديني، حيث يقول: "والغلو في الدين: هو المجاوزة عن الحد الذي حد لهم، وكذلك الاعتداء: هو المجاوزة عن الحد الذي أحد لهم، في الفعل وفي النطق جميعا، لا تغلوا: أي لا تَعَمَّقُوا في دينكم، ولا تَشَدَّدُوا؛ فيحملكم ذلك على الافتراء على الله، والقول بما لا يحل ولا يليق"^١. ويؤكد هذا المعنى في موضع آخر من تفسيره (تأويلات القرآن): "والغلو: هو المجاوزة عن الحد الذي حد، والإفراط فيه والتعمق؛ فكأنه - والله أعلم - قال: لا تجاوزوا في الدين الحد الذي حد فيه بنسبة الألوهية والربوبية إلى غير الله والعبادة له"^٢.

وعلى أية حال، فإن التطرف الفكري هو تجاوز عن حدود الاعتدال والمبالغة فيه ويقود في النهاية إلى التكفير والعنف والإرهاب.

^١ تأويلات القرآن، أبو منصور الماتريدي، ١١٧/٤، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

^٢ تأويلات القرآن، أبو منصور الماتريدي، ٢٨٣/٤، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

المبحث الثاني : خلفية التطرف الفكري في الإسلام

وإذا رجعنا إلى تاريخ الفرق الإسلامية، لوجدنا أن بذور التطرف أو الغلو في الدين - كمصطلح عند الإمام أبي منصور الماتريدي - ظاهرة قديمة على يد الخوارج، وهم فئة خرجت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فكفروا المسلمين بفعل الكبائر، واستحلوا دماءهم وأموالهم. ويظهر أن الخوارج والشيعة فرقان متقابلتان في آرائهما في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فالخوارج تكفّره وتبذره منه، والشيعة تنصره وتؤيّدّه. ويُعدّ الخوارج أول فرقة سياسية ودينية ظهرت في الإسلام^١.

ويصف الإمام الحسن البصري (ت ١١٠هـ) هذه الفرقة قائلاً: "العامل على غير علم كالسائر على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلباً لا يضر بترك العبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بترك العلم، فإن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسياهم على أمة محمد صلى الله عليه وآله، ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا"، ونقل الإمام أبو إسحاق الشاطبي هذا الكلام في كتابه (الاعتصام)، ورأى بأن النص موجّه إلى فرقة الخوارج، حيث يقول: "يعني الخوارج، والله أعلم، لأنهم قرؤوا القرآن ولم يتفقهوا فيه"^٢. ويشبه هذا القول للإمام علي عليه السلام (ت ٤٠هـ): "العامل بغير علم، كالسائر على غير طريق، فلا يزيده إلا بعده عن الطريق إلا بعداً من حاجته، والعامل بالعلم، كالسائر على الطريق الواضح"^٣. ولعله -احتمال كبير- يقصد هنا أيضاً بالخوارج لخروجهم عليه في موقعة صفين، وهي معركة وقعت في منطقة نهر الفرات سنة ٣٧هـ. وعلى صعيد آخر يحلل الشيخ أبو زهرة بأن الخوارج من أشد الفرق الإسلامية دفاعاً عن مذهبها، وحماسة لآرائها، وأشد الفرق تدنياً في جملتها، وأشدّ قهوراً واندفاعاً،

^١ راجع كتابنا: العقيدة الإسلامية والقضايا الخلافية عند علماء الكلام، د. كمال الدين نور الدين مرجوني، ص ٤٩،

٥٢، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠١٤م.

^٢ الاعتصام، الشاطبي، ١/٥٧، مكتبة التوحيد.

^٣ نهج البلاغة، الشريف الرضي، ١/٢٧٩، دار الجليل، بيروت - لبنان، بدون تاريخ، شرح: الشيخ محمد عبده. كتاب نهج البلاغة هو خطب وأقوال منسوبة إلى الإمام علي بن أبي طالب، جمعها الشريف الرضي أحد علماء الشيعة في القرن الرابع الهجري. ويعد هذا الكتاب تحفة أدبية عند الشيعة. واختلف العلماء في كتاب نهج البلاغة، منهم من اعتبر أنه صحيح النسبة إلى الإمام علي، وذهب إلى هذا الشيخ محمد عبده، بل قام بشرحه. وذهب الإمام الذهبي إلى عدم صحة النسبة إليه، وقال في ترجمة الشريف المرتضى أنه: "مات سنة ٤٣٦هـ وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة ... ومن طالع كتابه نهج البلاغة، جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي، ففيه السب الصراح والخطأ على أبي بكر وعمر، وفيه من التناقض، والأشياء الركيكة، والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة، وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين، جزم بأن الكتاب أكثره باطل". ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، ٣/١٢٤، رقم: ٥٨٢٧، دار المعرفة، بيروت-لبنان، بدون تاريخ.

وهم في دفاعهم وتهورهم، مستمسكون بألفاظ قد أخذوا بطواهرها، وظنوا هذه الظواهر ديناً مقدساً، لا يجيد عنه مؤمن، وقد استرعت ألباهم كلمة "لا حكم إلا الله" فاتخذوها ديناً ينادون به، فكانوا كلما رأوا عليها يتكلم قذفوه بهذه الكلمة^١.

ويذكر الإمام أبو منصور الماتريدي في كتابه (تأويلات القرآن) بأن الخوارج قد أحدثوا من أنفسهم أشياء حتى سموا المسلمين كفرة بما ارتكبوا الكبائر، حتى نصبوا القتال والحرب معهم^٢. وهذا في رأي الإمام أبي منصور الماتريدي نوع من أنواع التطرف الديني، إذن "فقتاله واجب اتباعاً لعلي عليه السلام ومن حارب معه من أصحاب رسول الله ﷺ على أهل البغي والخوارج، فأما قتال الخوارج: فهو كالإجماع؛ لأن جميع الطوائف قد حاربوهم"^٣. وفي موضع آخر أورد الإمام أبو منصور الماتريدي تأويل الآية: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]. بأن قوله (أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) تتضمن ثلاثة أصناف، فهم: بنو أمية، والمنافقون، والحرورية وهم الخوارج^٤.

ومما سبق من قول الإمام الحسن البصر والإمام علي رضي الله عنهما يكفي لنا التأكيد على أن العلم مطلوب قبل العمل، فلا يجوز إنكار شيء لم نعلمه، وذلك لأنه لا يمكن أن نعلم ونخطئ كل علم.

وهذا التطرف الفكري نجده أيضاً عند الفكر الاعتزالي، وذلك في قصة محنة القرآن، حيث حدثت هذه الفتنة في العراق في بداية القرن الثالث الهجري، وكانت في بدايتها معركة جدلية بين بعض علماء المعتزلة والحاكم العباسي من جهة، وبين الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) وبعض من أتباعه من جهة أخرى، ودام الجدل في هذه القضية قرابة عشرين عاماً (٢١٨-٢٣٤هـ) وتوالى على الحكم العباسي في هذه الفترة: المأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل في بداية عهده. وقد أعلن المأمون وهو الخليفة العباسي بوجود الاعتقاد بخلق القرآن، وأجبر الناس والعلماء على التصريح بذلك، وامتنح الناس والعلماء. وقصة الإمام أحمد بن حنبل في هذا معروفة ومشهورة. وقد سجن الإمام أحمد بن حنبل بسبب هذه المسألة لمدة ثلاثين شهراً، وجلده بالسياط، وكان ابن أبي دؤاد يصرخ بأعلى صوته: "إِنَّهُ كَافِرٌ بِاللَّهِ، ضَالٌّ مُضِلٌّ"^٥. وقال الدارقطني: "أحمد بن أبي داود قاضي القضاة للمعتصم والواثق، وهو الذي كان يمتحن العلماء في أيامهما ويدعوا إلى القول بخلق القرآن"^٦. وهكذا تعرض علماء الأمة للفتنة، وفيها متابعة سياسية، واضطهاد بشكل

^١ تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، ص ٦٩ - ٧٠، دار الفكر العربي، القاهرة.

^٢ تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ٢٠٣/٤، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

^٣ تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ٣٧٤/١٤، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

^٤ تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ٤٠٦/١٣-٤٠٧، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

^٥ سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ٢٦٢/١١، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ١٩٨٥م.

^٦ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٢٣٣/٥، رقم: ٢٠٩٥، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ٢٠٠٢م.

واسع، وجريمة قتل، إذ أن من صمد أمام الفتنة، ولم يستجب القول بخلق القرآن أي أنه مخلوق، فسيموت تحت التعذيب، وفي ذلك يقول الإمام التفتازاني: "إن بعض المتغلبة (المعتزلة) قتل كثيرا من أهل الحق لعدم قولهم بخلق القرآن"^١.

ومن هذا المنطلق، يرد الإمام أبو منصور الماتريدي الخوارج والمعتزلة معا في مواضع كثيرة من مؤلفاته بأنهم من المتطرفين في العقيدة والفكر، وبخاصة فيما يتعلق بمرتكب الكبيرة^٢.

المبحث الثالث : التطرف الفكري ظاهرة عقائدية

والواقع أن التطرف الفكري والغلو في الدين ظاهرة عقائدية تحدت عنه القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَسَهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ ۚ سُبْحَنَهُ ۚ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، والغلو نقيض التقصير ومعناه الخروج عن الحد، وذلك لأن الحق بين طرفي الإفراط والتفريط، ودين الله بين الغلو والتقصير^٣. وقد فسر الإمام أبو منصور الماتريدي الآية بأن قوله (لا تغلوا) أي لا تعمقوا في دينكم، ولا تشددوا؛ فيحملكم ذلك على الافتراء على الله، والقول بما لا يحل ولا يليق^٤. ويلاحظ -رحمه الله- لفظ الآية (يا أهل الكتاب) دون القول بـ (يا أهل المشركين)، وذلك لأن الله ﷻ خاطب بالنهي عن الغلو في الدين أهل الكتاب، لم يخاطب أهل الشرك بذلك فيما خاطب؛ وذلك أن أهل الكتاب ادعوا أنهم على دين الأنبياء والرسل الذين كانوا من قبل، فنهاهم الله ﷻ عن الغلو في الدين^٥.

وقد اختلف العلماء في المراد بأهل الكتاب في الآية إلى قولين:

^١ شرح العقائد النسفية، سعد الدين التفتازاني، ص ٢٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ٢٠١٤م.

^٢ تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ١٧/٢، ١٩٢/٢، ٢٢٥/٢، ٣٣٤/١٢، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

^٣ مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٥٣/١٢، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠٠٠م.

^٤ تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ١١٧/٤، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

^٥ تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ٢٨٣/٤، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

- أحدهما: أنه خطاب للنصارى خاصة. وإليه ذهب الإمام أبو منصور الماتريدي: "الخطاب بقوله: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ) في حقيقة المعنى للخلق كلهم؛ لأن على كل الخلائق ألا يغلوا في دينهم، وهو في الظاهر في أهل الكتاب، والمقصود منه النصارى دون غيرهم من أهل الكتاب"^١.

- والثاني: أنه خطاب لليهود والنصارى، لأن الفريقين غلوا في المسيح، فقالت النصارى: هو الرب، وقالت اليهود: هو لغير رِشْدَةٍ^٢، وهذا قول الحسن. والغلو: مجاوزة الحد، ومنه غلاء السعر، إذا جاوز الحد في الزيادة، وغلا في الدين، إذا فرط في مجاوزة الحق. (وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) يعني في غلوهم في المسيح. (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ) رداً على مَنْ جعله إلهاً، أو لغير رِشْدَةٍ (أو) ساحراً. (وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ) في كلمته ثلاثة أقاويل، أحدها: لأن الله كلمه حين قال له: كن، وهذا قول الحسن، وقتادة. الثاني: لأنه بشارة الله التي بشر بها، فصار بذلك كلمة الله. والثالث: لأنه يهتدى به كما يهتدى بكلام الله^٣.

وقد استطرد الإمام أبو منصور الماتريدي في الرد على التطرف الفكري عند النصارى بأنهم افترقوا على ثلاث فرق في عيسى عليه السلام بعد اتفاقهم على أنه ابن مريم: قال بعضهم: هو إله، ومنهم من يقول: هو ابن الإله، ومنهم من يقول: هو ثالث ثلاثة: الرب، والمسيح، وأمه؛ فأكذبهم الله وَبَيَّنَّ في قولهم، وأخبر أنه رسول الله ابن مريم، ولو كان هو إلهاً لكانت أمه أحق أن تكون إلهاً؛ لأن أمه كانت قبل عيسى عليه السلام ومن كان قبل أحق بذلك ممن يكون من بعد، ولأن من اتخذ الولد إنما يتخذ من جوهره، لا يتخذ من غير جوهره؛ فلو كان ممن يجوز أن يتخذ ولداً - لم يتخذ من جوهر البشر؛ كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ أَتَّخِذْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا مُعْلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧]^٤.

والجدير بالذكر أن تعاليم الكتب السماوية الثلاثة - التوراة، والإنجيل، والقرآن - لا تدعو إلى التطرف والعنف، بل رفضته رفضاً تاماً وتقاومه بشدة، ولكنه - مع الأسف الشديد - أن اليهود والنصارى حرفوا كتاب الله - ألفاظاً ومعانٍ - حسب أهوائهم ومصالحهم، فوجدنا كثيراً من نصوص التوراة والإنجيل الدعوة إلى التطرف الفكري. فعلى سبيل المثال، يؤمن اليهود وفقاً لتعاليم التوراة المحرفة بأسلوب الإبادة الجماعية للأعداء، الذي يشمل كل موجود حي، الرجال والنساء، والأطفال وحتى الحيوانات والنباتات والأشجار، ويعتقدون بأن عدم تنفيذ هذه الوصايا يجلب غضب الرب، ويمنع نصرته، ويحجب رحمته ورضاه عن شعبه،

^١ تأويلات القرآن، أبو منصور الماتريدي، ١١٨/٤، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

^٢ (الرِشْدَةُ)، يقال: هو وَلَدٌ رِشْدَةٌ؛ وَلِرِشْدَةٍ: صَحِيحُ النَّسَبِ، أَوْ مِنْ نِكَاحٍ صَحِيحٍ. وفي الحديث: (من ادعى وَلَدًا لغير رِشْدَةٍ فلا يرث ولا يورث) - سنن أبي داود، رقم: ١٩٢٩. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٦٠م.

^٣ النكت والعيون، أبو الحسن الماوردي، ٥٤٦/١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠١٢م.

^٤ تأويلات القرآن، أبو منصور الماتريدي، ١١٨/٤، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

بل ويوردهم مورد الهلاك، ويتليهم بالهزيمة والخسران. فكانت وصية موسى لقومه قبل موته حسب ما تدعيه التوراة المحرفة: "وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك. لا تُشفق عينك عليهم، ولا تعبد آلهتهم، لأن ذلك شرك لك". الشرك: حباله يصاد بها الطير والحيوان. (سفر التثنية، ٧: ١٦)، فهذا النص يوصي بني إسرائيل بقتل كل الشعوب وعدم الشفقة عليهم، بل وأخطر من ذلك النص في التوراة: "ملعون من يمنع سيفه عن الدم". (سفر آرمياء، ٤٨: ١٠)، فاليهود بموجب هذا النص لكيلا يكونوا ملعونين فلا بد لهم من قتل الأبرياء يومياً، وهذه الفتن، والاضطرابات، والقلاقل، والحروب التي حدثت عبر التاريخ، وخصوصاً ما نشاهده ونسمعه هذه الأيام في عالمنا المعاصر كلها نتيجة لهذا النص^١. وأما نصوص الإنجيل الدال على التطرف: لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض. ما جئت لألقي سلاماً، بل سيفاً. فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والإبنة ضد أمها، والكَنَّة ضد حماتها، وأعداء الإنسان أهل بيته". (إنجيل متى، ١٠: ٣٤-٣٦). فهذا النص واضح بمطلوه أن تعاليم النصارى المحرفة مبنية على التطرف كما هو الحال عند تعاليم اليهودية المحرفة.

والجدير بالذكر في هذا الصدد قول عالم لاهوتي فرنسي بول بوشان (Paul Beauchamp): "يحتل العنف مرتبة مرموقة في الكتاب المقدس، ولا شك أن الموضوع واسع وهو يهمنا جميعاً، في كل ساعة من ساعات تاريخنا الفردي والجماعي، وكلما اهتممنا به، لاحظنا أن عدد النصوص الكتابية المختصة به يزداد"^٢. وأما الجهاد في القرآن الكريم فهو دعوة دفاعية كما صرح به فيليب جينكينز (Philip Jenkins) أستاذ التاريخ بجامعة بايلور (Baylor University): "إن العنف الدّموي في القرآن أقل بكثير من دموية الكتاب المقدس، إذ تدعو التعليمات الصريحة الواضحة في الكتاب المقدس إلى الحرب بكونها حرباً إبادة، في حين أن القرآن لا يدعو إلى الحرب، وإذا اضطرته الظروف إليها، فهي لا تكون إلا حرباً دفاعية"^٣. وبناء عليه فإن الحرب في الإسلام حرباً دفاعياً وهو المسمى بمصطلح (الجهاد الإسلامي).

وعلى أية حال، فإن الفكر المتطرف غريب على الإسلام، ودخيل على تعاليمه السمحة، وفي هذا حرم الإسلام إيذاء كل مستأمن أو مُعاهد داخل ديار الإسلام، قال الرسول ﷺ: (من قتل مُعاهداً، لم يرح

^١ موقف التوراة والأنجيل والقرآن من الإرهاب - دراسة مقارنة-، د. محمد حسين محمدي الإيراني، ص ١٣١، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في أصول الدين ومقارنة الأديان، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، سنة ٢٠١٩م. وكنت مناقشا خارجياً لهذه الرسالة بتاريخ، ١٢/أبريل/٢٠١٩م.

^٢ بول بوشان، العنف في الكتاب المقدس، ص ٥، دار المشرق، بيروت-لبنان، ٢٠٠٥م، ترجمه من الفرنسية: صبحي حموي اليسوعي.

^٣ مقابلة مع فيليب جينكينز في الإذاعة الوطنية العامة، عام ٢٠١٠م.

National Public Radio (NPR)

<https://web.archive.org/web/20180409190619/http://www.alukah.net:80/translations/0/47795>

رائحة الجنة، وإن ربحها توجد من مسيرة أربعين عاما) - صحيح البخاري، رقم: ٢٩٣٠- فالحديث يبين بأن العقوبة غليظة لمن آذى، وعذب، وقتل المُعَاهِد.

ومن تعاليم الإسلام السمحة عدم التعرض لدور عبادة غير المسلمين، فالاعتداء على أماكن العبادات من الأمور التي حرمها الإسلام. فتخريب دور العبادات مخالف لمقصود الشرع، يقول الله ﷻ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ﴾ - الحج: ٤٠. يقول الإمام البغوي عن معنى الآية: "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلاتهم، لهدم في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى البيع والصوامع، وفي زمن محمد ﷺ المساجد".^١

وتوسع الإمام أبو منصور الماتريدي في تفسيره للآية بأنها دليل واضح على النداء بالمعاملات والتعاون المتبادل بين الأديان لأمر معاشهم، حيث قال: "أن الله خلق هذا الخلق، وجعل بعضهم عوناً لبعض وردءاً في أمر المعاش والدِّين جميعاً، وجعل لبعضهم منافع متصلة ببعض ما لو كلف كله القيام بنفسه فيه، لهلكوا ولم يكن في وسعهم القيام بذلك، نحو أن يكلف أحداً بالقيام بجميع ما يحتاج إليه من الحرثة، والزراعة، والحصاد، والدياس، والتذرية، والطحن، والخبز، وغيره، ما لو كلف بنفسه بذلك كله لهلك، ولكن جعل بعضهم عوناً لبعض وردءاً لهم، وانتفاع بعضهم ببعض، وكذلك الغزل، والنسج، والخياطة، والقطع، والغسل كله على هذا القياس ما لو كلف بنفسه القيام بذلك كله لهلكوا، ولو هلكوا هلك ما لهم خلق من السماوات والأرض وما فيها، وما سخر لهم".^٢

بل منع الإسلام سب آلهة المشركين أو الأوثان التي يعبدونها المشركون، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]. والمقصد من النهي سداً للذريعة حتى لا يسب المشركون الله جهلاً بغير علم. وينقل لنا الإمام السيوطي رواية عن قتادة قال: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، فيسب الكفار الله، فأنزل الله (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله).^٣

ومن هذا المنطلق دعي المفتي المصري الشيخ شوقي علام بأن يتعاون أتباع الأديان السماوية الأخرى، وخاصة المسيحية، لنشر التسامح الديني في العالم. ذلك أن مواجهة التطرف والعنف الذي يتستر بالدين تحتاج إلى جهود كل الأطراف، كما تحتاج إلى دعم هيئات ومنظمات دولية تعمل في مجال الفكر والثقافة إلى جانب ما تضطلع به المؤسسات الدينية الإسلامية والمسيحية حول العالم.^٤

^١ معالم التنزيل، البغوي، ٣٨٩/٥، دار طيبة، الرياض-مملكة العربية السعودية، ١٩٩٧م.

^٢ تأويلات القرآن، أبو منصور الماتريدي، ٣٨٥/٩، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

^٣ الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ٣٣٩/٣، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٩٩٠م.

^٤ الإسلام والتطرف - خطان متوازيان لا يلتقيان -، جريدة الخليج، ٢٥ مايو، ٢٠١٩م.

المبحث الرابع : الفكر التكفيري وخطورته

وكما قلنا سابقاً بأن التطرف ليس ظاهرة حديثة، وإنما هو ظاهرة قديمة وموجودة عند بعض الفرق الإسلامية، وما زالت هذه الظاهرة موجودة، حيث نجد أن من أهم التحديات الفكر الإسلامي المعاصر هو نسبة أحد من أهل القبلة -أي المسلمين- إلى الكفر المعروف بمصطلح "التكفير"، وهذا في الحقيقة الحُكم على المسلم بالردّة لأن الكفر نقيض الإيمان. وهذا لا يجوز عند الإمام أبي منصور الماتريدي، لأنه مهما كان الأمر أن المؤمن ليس بكافر بفعل الكبائر كما ذهب إليه الخوارج^١، والكافر سمي كافراً؛ لستره الحق بالباطل، ولستره جميع ما أنعم الله عليه بتوجيهه الشكر إلى غيره^٢. وأوضح الإمام أبو منصور الماتريدي بأن أصحاب الكبائر لم يكفروا بارتكابهم الكبيرة، وقد يدخلون النار فيخرجون منه بالشفاعة، فيخرجون من النار ويدخلون الجنة. إذن فالمخلدون في النار هم الكفار والمشركون، لأن مكانهم جهنم، يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. يقول الإمام أبو منصور الماتريدي: "وفي الآية ردّ قول المعتزلة بتخليد أهل الكبائر في النار، وإخراجهم إياهم من الإيمان من غير أن أدخلوهم في الكفر، لأنه وَجَّكَ لَمْ يجعل إلا فريقين: بياض الوجوه، وسواد الوجوه، فبياض الوجوه هم المؤمنون، وسواد الوجوه هم الكافرون؛ لأنه قال: (أَكْفَرْتُمْ) فأصحاب الكبائر لم يكفروا بارتكابهم الكبيرة، ولم يجعل الله تعالى فرقة ثالثة؛ وهم جعلوا فرقة ثالثة؛ وكذلك قال وَجَّكَ: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]. لم يجعل الخلق إلا فريقين، وهم جعلوا فرقا؛ وكقوله: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]^٣. ويقول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]. وفسر الإمام أبو منصور الماتريدي في (تأويلات القرآن) قوله تعالى (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ): "في الآية دلالة أنها (النار) لم تعد لغير الكافرين، وهي تنقض على المعتزلة قولهم حيث خلدوا صاحب الكبيرة في النار، ولم يطلقوا له اسم الكفر"^٤. وأكد بذلك الإمام أبو منصور الماتريدي في (كتاب التوحيد) بأن الخلود في النار لا يكون إلا للكافر الذي تعمد عصيان الله تعالى، وليس هذا حال المؤمن إذا ارتكب كبيرة، لأن كل مؤمن فيما يعصي الله في كل شيء يكون كالمندفع إليه بما يغلب عليه من شهوة أو غضب أو حمية أو نحو ذلك، وبما به يصير إليه، إذن لم يقصد عصيان الرب أو طاعة الشيطان، (ولكن) يصير ... كالمندفع، لم يلزمه الكفر به، والله أن يجزيه عليه بما ملكه ما

^١ كتاب التوحيد، أبو منصور الماتريدي، ص ٤٢٢-٤٢٣، دار صادر، بيروت-لبنان، مكتبة الإرشاد، استانبول-تركيا، تحقيق: بكر طوبال أوغلي، محمد آروثشي، ٢٠٠١م.

^٢ تأويلات القرآن، أبو منصور الماتريدي، ٥١٦/٢، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

^٣ تأويلات القرآن، أبو منصور الماتريدي، ٣٨٦/٢، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

^٤ تأويلات القرآن، أبو منصور الماتريدي، ٦٠/١، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

به بمتنع عن الدفع إليه^١. ويرى الإمام أبو منصور الماتريدي أن هذه الأفكار المتطرفة من قبل الخوارج والمعتزلة في واقع الأمر أنهم جميعاً ضيقوا رحمة الله فجعلوها بحيث لا تسع لذنب، إذا الذنوب التي ليست بكبائر لا يجوز معها التعذيب، فليس لرحمة الله فيما ليس له التعذيب ولا لعفوه فيما استغنى عنه حكمة، وجعلوا الغضب والسخط هو الذي يسع كل ذنب في الحكمة ويجوز له التعذيب، فلا عفو إذا على قولهم ولا رحمة، فحق هذا القول الحرمان. وأما ما يصفه بسعة الرحمة وعظيم العفو فحق لهم المغفرة والعفو، لأن كل كريم يوصف بهذا فهو أقبل له من الوصف، بما وصفته الخوارج والمعتزلة^٢.

وعلى صعيد آخر يرى الإمام أبو منصور الماتريدي بأن الفكر المتطرف ينبغي مؤاخذه ومواجهته حفاظاً على الوحدة الإسلامية وسلامة أمن المجتمع العالمي، وذلك لأن المتطرفين يعتبر من الفئة الباغية في الإسلام، وفي هذا يفسر الإمام أبو منصور الماتريدي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفُتِلُوا آلَتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]. وهذه الآية حجة على المعتزلة والخوارج، فإنه أبقى اسم الإيمان بعد ما كان منهم الاقتتال والبغي، والقتال والبغي مع أهل الإسلام من الكبائر دل أن الكبيرة لا تخرج عن الإيمان، ولا توجب الكفر ... وفي الآية الأمر بقتال أهل البغي من غير قيد بين السيف وغيره. لكن متى أمكن دفع البغي وكسر منعته بغير السلاح فهو الحق، وهو الواجب، لكن إذا لم ينقلعوا عن البغي إلا بالقتال مع السيف فلا بأس به، فإن علياً عليه السلام قاتل الفئة الباغية بالسيف ومعه كبراء الصحابة - رضي الله عنهم - وأهل بدر، وكان هو محمداً في قتاله إياهم دل أنه لا بأس بقتالهم بالسيف^٣.

وحادث يبعث على الأسف والألم للأمة الإسلامية - في الواقع المعاصر - أن نسمع ونقرأ المناظرات الدينية والمبارزات المذهبية - في أحيان كثيرة - قد وصلت إلى التكفير، وكان ذلك بالتدريج - من التضييل، ثم التبديع، ثم التفسير، ثم التكفير - وانتهاء بالعنف والإرهاب. ومسألة التكفير خطيرة للغاية، لأنها تتعلق بالمحنة الأخيرة لكل الناس، أي وصولهم إما إلى الجنة أو إلى النار. وقد حذر الرسول ﷺ التكفير بغير دليل شرعي صحيح، ولا علم، ومنها: حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "أبما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما" - صحيح البخاري، رقم: ٦١٠٣. وحديث أبي ذر - رضي الله عنه - أنه سمع النبي ﷺ يقول: "لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك" - صحيح البخاري، رقم: ٦٠٤٥.

^١ كتاب التوحيد، أبو منصور الماتريدي، ص ٤١٧-٤١٩، دار صادر، بيروت-لبنان، مكتبة الإرشاد، اسطنبول-تركيا، تحقيق: بكر طوبال أوغلي، محمد آروتشي، ٢٠٠١م (بتصرف).

^٢ كتاب التوحيد، أبو منصور الماتريدي، ص ٤٢٩.

^٣ تأويلات القرآن، أبو منصور الماتريدي، ٦٨/١٤-٦٩، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

وعلى أية حال، فإن موضوع التكفير يُعدُّ من قضية الساعة أو الراهنة في المجتمع الإسلامي، ولقد تعددت الجماعات والجمعيات الإسلامية الداعية إلى الإصلاح والتغيير، وهؤلاء تجمع ما بين الأهداف السياسية والأهداف الدينية. بل في الآونة الأخيرة تظهر جماعات سلفية تكفيرية من أهمها: تنظيم القاعدة، حيث تأسست في الفترة بين أغسطس ١٩٨٨م، وأيدولوجيتها "سلفية جهادية" وبهذا تدعو إلى الجهاد الدولي. وقد هاجمت القاعدة أهدافاً مدنية وعسكرية في مختلف الدول، أبرزها هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م. وبعدها -وحتى الآن- نشأ تنظيم الدولة الإسلامية (داعش/ ISIS) سنة ٢٠١٣م، وكانت تُسمى بـ "الدولة الإسلامية في العراق والشام" وهو تنظيم مسلح يتبع فكر جماعات السلفية الجهادية، ويهدف أعضاؤه - حسب اعتقادهم- إلى إعادة "الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة"^١.

ومن الملاحظ أن أسباب التكفير متنوعة، منها:

الأول: الخلاف السياسي بين الفرق والجماعات الإسلامية، وذلك بتسييس الدين وتدين السياسة.
الثاني: سوء الفهم للدين والجهل بمقاصده العقدية والشريعة، وذلك بالتوقف على نصوص الظاهرة للقرآن والسنة.

الثالث: الخلط بين الدين والتدين.

الرابع: التقليد والتعصب المذهبي لعدم قبول فكرة الآخرين.

ومهما يكن من أمر، فإن التكفير بسبب الاختلاف المذهبي ناتج عن التقليد والتعصب الفكري ولا أساس له، إذن فإنه مرفوض عند التحقيق، فحد الكفر والإيمان هو القول بالشهادتي هما الشهادة بأن "لا إله إلا الله" والشهادة بأن "محمدًا رسول الله"، إذن بحسب الشريعة الإسلامية، فإن الشخص يدخل الإسلام بمجرد الشهادة وموقنا بمعناها. وهذا ما بينه الإمام أبو منصور الماتريدي من خلال تفسيره للآية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]. وهو يرد على قول المعتزلة بأن معنى الهدى هو مجرد البيان: "ذكر أهل التأويل أن هذا نزل في أبي طالب عم النبي، وذلك أن أبا طالب قال: يا معشر بني هاشم، أطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا، فقال له النبي ﷺ: " تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك؟! ". قال: فقال: ما تريد يا ابن أخي؟ قال: " أريد منك كلمة واحدة في آخر يوم من الدنيا: أن تقول: لا إله إلا الله؛ أشهد لك بها عند الله " قال: يا ابن

Counter Extremism Project - ISIS¹

ISIS is an extremist group formed from al-Qaeda offshoots in Iraq and Syria. Since its formation in 2013, ISIS has worked to sustain a self-declared caliphate in eastern Syria and western Iraq. Ultimately, ISIS seeks to unite the world under a single caliphate, and to that end the group has begun to establish satellite operations in nine countries. Initially, ISIS gained support within Iraq as a Sunni insurgency group fighting what some Sunnis viewed as a partisan Shiite-led Iraqi government. The group has since garnered additional momentum as a result of the Syrian civil war and has recruited up to 33,000 fighters from around the world. Thousands of foreign ISIS fighters are estimated to have been killed in battle, while some have returned—or are reportedly planning to return—to their home countries.

https://www.counterextremism.com/taxonomy_term/1008/printable/pdf

أخي، قد علمت أنك صادق، ولكن أكره أن يقال: جزع عن الموت، ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك وأخيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها، ولأقررت بها عينك عند الفراق؛ لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك، ولكن سوف أموت على ملة الأشياخ فلان وفلان؛ فأنزل الله ذلك: (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)، فهو على المعتزلة؛ لأنهم يقولون: أن الهدى البيان، ولو كان بيانا على ما يقولون لكان رسول الله يقدر أن يبين له وقد بين ... وعندنا زيادة الهداية وابتدائها سواء، وهو على ما أخبر رسوله أنه لا يهديه، ولكن لو كان الهداية بيانا - على ما قالوا - لكان قد بين لهم؛ فدل ذلك منه أن ثم هداية سوى البيان عند الله إذا أعطاها العبد يصير بها مؤمنا، وهي التوفيق والعصمة والسداد، وذلك لا يملك رسول الله إنشاء ذلك وابتداعه، بل الله هو المالك بذلك^١. وفي هذا يقول الرسول ﷺ: "ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمن قال لا إله إلا الله، ولا نكفره بدين، ولا نخرجه من الإسلام بعمل" - سنن أبي داود، رقم: ٢١٧٠ -.

والجدير بالذكر هنا بأنه قد صاغ الإمام أبو حامد الغزالي قانون منع التكفير موضحاً ضرورة التفرقة بين أصول الدين وفروعه في المسائل الاعتقادية: "أما القانون: فهو أن تعلم أن النظريات قسمان: قسم يتعلق بأصول القواعد، وقسم يتعلق بالفروع. وأصول الإيمان ثلاثة: الإيمان بالله، وبرسوله، وباليوم الآخر، وما عداه فروع. واعلم أنه لا تكفير في الفروع أصلاً، إلا في مسألة واحدة، وهي أن ينكر أصلاً ديناً علم من الرسول ﷺ بالتواتر. لكن في بعضها تخطئة، كما في الفقهيات، وفي بعضها تبديع، كالخطأ المتعلق بالإمامة وأحوال الصحابة ... فلو قال قائل مثلاً: البيت الذي بمكة ليس الكعبة التي أمر الله بحجها، فهذا كفر، إذ قد ثبت تواتراً عن رسول الله ﷺ خلافه ...^٢.

وبهذا المعيار، أن أصول الدين العقدية هي عبارة معالم الدين ومبادئه التي بنيت على الأدلة القطعية ثبوتاً ودلالةً ولا تحمل الخطأ أبداً حتى لا يعتذر أي مخالفات فيها. فمن يختلف فقد انحرف انحرفاً بيناً وضلاً ضلالاً، ومن أهم مسائل أصول العقيدة هي: توحيد الله ﷻ، وجود الملائكة، وجود الرسل والأنبياء، كون محمد ﷺ خاتم الرسل والأنبياء، وجود الكتب السماوية، حقائق القرآن، عصمة الرسل والأنبياء بعد النبوة، معجزات الأنبياء، وجود الجن، وجود اليوم الآخر والبعث. فجميع دلائل هذه المسائل الاعتقادية قطعي الثبوت وقطعي الدلالة.

وأما فروع الدين العقدية، فهي معالم الدين التي بنيت على الأدلة الظنية ثبوتاً ودلالةً أو على الأدلة القطعية ثبوتاً والظنية دلالةً، فتحتمل الخطأ والصواب حتى يعتذر مخالفوها ما دام الخلاف يقوم على أساس الأدلة الشرعية المعتمدة. فلا تعتبر المخالفة انحرفاً بل تندرج تحت مسمى الخلافات المقبولة في الشرع. ومن أهم

^١ تأويلات القرآن، أبو منصور الماتريدي، ١١/٥٧-٥٨، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

^٢ المصدر السابق، ص ٨٢-٨٤.

مسائل فروع العقيدة هي مسألة الحديث عن الأسماء والصفات، وخلق القرآن، ورؤية الله ﷻ، والإمامة، وإسراء النبي ﷺ بالروح والجسد، وإسلام أبي طالب، ونجاة والدي النبي ﷺ، وتخفيف عذاب أبي لهب، ووصول ثواب القراءة للميت، وتلقين الميت، وانتفاع الميت بعمل الأحياء، وسماع الموتى^١.
واتضح فيما سبق من كلام الإمام الغزالي أنه لا يجوز التكفير في المسائل الفروعية للعقيدة، وبهذا فكون المسألة عقدية لا يعني عدم الاختلاف فيها، وهذا الاختلاف والإتفاق ينظر بناءً على قطعية الأدلة وظنيتهما، فالمسائل العقائدية التي بنيت على الأدلة القطعية ثبوتاً ودلالة، ولا تحمل الخطأ أبداً حتى لا يعتذر أي مخالافات فيها فهي في حد ذاتها من أصول العقيدة، وأما المسائل العقائدية التي بنيت على الأدلة الظنية ثبوتاً ودلالة أو على الأدلة القطعية ثبوتاً والظنية دلالة، فتحتمل الخطأ والصواب حتى يعتذر مخالفتها فهي من فروع العقيدة.

المبحث الخامس : الإسلام وحرية الإنسان

إن العالم اليوم يحتاج إلى مواجهة الفكر المتطرف لبيان مدى وسطية الإسلام، وذلك بعد هجمات الإرهابية ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، التي استهدفت الولايات المتحدة الأمريكية، وقد ازدادت المخافة أو الخشية والكراهية الموجهة ضد الإسلام أو الخوف من الإسلام والمسلمين ويسمى هذه الشعور بـ "الإسلاموفوبيا / Islamophobia"^٢. ومع الأسف الشديد فإن الإسلاموفوبيا لا تُفَرِّق بين المسلمين والإرهابيين إذ تجعلهم جميعاً في بوتقة واحدة. فهذا نوع من تعميم الأحكام بوجه عام على المسلمين، وهذا التعميم رفضه الإسلام.

وفي مسعى لمعالجة التطرف الفكري، قدّم مركز "European Eye on Radicalization" عام ٢٠١٩م التقرير بأن دول الشرق الأوسط جرّبت أساليب متنوعة، من تونس ما بعد الثورة إلى الحكومات الأكثر استقراراً في الخليج العربي. وتوصّلت جميع تلك الدول إلى أن الأدوات الأمنية وحدها لن تنجح، ذلك أنه يتعين مواجهة الأيديولوجيا التي تكمن خلف الإرهاب^٣.

^١ مناهج التمييز بين الأصول والفروع في العقيدة، والشرعية، والأخلاق عند أهل السنة والجماعة، محمد رزق بن حسين شهاب، ص ٢٢٠-٢٩٣، مخطوط رسالة الدكتوراه مقدمة إلى جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، وقمت مشرفاً للرسالة التي نوقشت بتاريخ ١٥/٤/٢٠٢١م.

^٢ Islamophobia

Is dislike of or prejudice against Islam or Muslims, especially as a political force.

<https://www.lexico.com/definition/islamophobia>

^٣ مكافحة التطرف - التحديات والفرص - ٧ ديسمبر ٢٠١٩م.

<https://eeradicalization.com/ar>

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على عدم نجاح منع التطرف الفكري والإرهابي بالعمليات العسكرية والتدابير الأمنية وحدها. وإنما يحتاج إلى وسائل أخرى وأهمها التنوير والتوجيه العقدي السليم الذي يخاطب عقل الإنسان ووجدانه، وذلك لأن المشكلة الأساسية عند المتطرفين والمتشدددين هي فكرهم وآراءهم الديني المنحرف، وانطلاقاً من هذا أهملوا الأحكام الإلهية وحددوها فقط في سياق مفهومهم الضيق الذي لا يستند إلا على أهوائهم ورغبتهم لمعاني القرآن والسنة لخدمة أغراضهم الدينية والسياسية في السيطرة على الآخرين.

وفي إطار مجابهة الفكر المتطرف، جاءت أهمية العقيدة في منع أيديولوجية التطرف الفكري، لأن العقيدة شاملة لكل ما يحتاجه البشر أو ما يحقق السعادة للناس في الدنيا والآخرة. وذلك أن العقيدة ذات علاقة وثيقة بقصد المؤمن ونيته، وما يترتب عليها من أحكام علمية وعملية، وما يفضي إليه عمله، وما يحققه من مصلحة أو مفسدة. يقول الرسول ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى" -صحيح البخاري، رقم: ١-.

إذن، فإن للعقيدة الإسلامية دور مهم في تصحيح مسار الفكر المتطرف، وبما يتجلى الفكر السليم الصحيح المطابق للواقع والذي أراده الله ورسوله، فحتاج الأمة إلى تفعيل التوعية العقائدية وتوجيهها إلى المنتسبين إلى الفكر المتطرف كوسيلة للجرعة الدينية الدوائية المصفاة من التطرف أو الجنوح إلى اليمين أو اليسار، علماً أننا أمة وسط واعتدال. يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. وفسرها الإمام أبو منصور الماتريدي بأن الوسط: العدل. أخبر ﷺ أنه جعل هذه الأمة عدلاً، فالعدل هو المستحق للشهادة والقبول لها. ففيه الدلالة على جعل إجماع هذه الأمة، حجة؛ لأنه وصفها بالعدالة، وصيرها من أهل الشهادة. فإذا اجتمعوا على شيء وشهدوا به، لزم قبول ذلك، والحكم بما شهدوا، والشهادة فيه أنه من عند الله وقع لهم ذلك، جعل الله ﷻ هذه الأمة وسطاً عدلاً... فكأنه قال: يا أيها الذين آمنوا قد جعلكم الله أمناء عدلاً وسطاً^١. فجعل الله هذه الأمة وسطاً ومنع التطرف والتقصير في كل أمور الدين.

ومن الملاحظ أن الإنسان المقرّ بوحداية الله، وأنه القادر والسميع البصير، فلا يجزؤ على التطرف، والقدح، والسب، والحسد، والنميمة، والحق، فحياته دائماً في سلام واطمئنان، وذلك أنه فوّض كل مشاكله الدنيوية إلى قضاء الله وقدره وهو السميع البصير، قوله تعالى ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]. وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢: ١٦٣]. وقوله: ﴿اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

^١ تأويلات القرآن، أبو منصور الماتريدي، ١/٢٦٠-٢٦١، ٦/١٩٨-١٩٩، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

ومن هذا المنطلق، نستطيع القول بأن التوحيد هو الرابطة الوحيدة القادرة على جمع الكلمة، ووحدة الصف بين المسلمين، والابتعاد عن التطرف الفكري. قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ [الأنبياء: ٩٢]. ويفسرها الإمام أبو منصور الماتريدي بعدة وجوه: "إن هذه ملتكم وشريعتكم ومذاهبكم ملة واحدة وشريعة واحدة، يعني: شريعة الإسلام، وملة واحدة ليست بمفترقة. إن هذا دينكم دين واحد، ليس كدين الأمم الخالية أديانا مختلفة. أو أن يكون الأمة ما يؤم إليها ويقصد؛ لأن الأمة هي الجماعة، وهي المقصودة. وجائز أن يكون إخبارا عن هذه الأمة على دين واحد وملة واحدة، ليسوا بمختلفين ولا بمفترقين، كسائر الأمم الخالية، كقوله: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا). وقوله (ولا تفرقوا)، أخبر عنهم أنهم غير متفرقين، ونهاهم عن أن يتفرقوا كما تفرق الأولون؛ ألا ترى أنه قال على إثره: (وتقطعوا أمرهم بينهم) هذا يدل على أنه إخبار عن أهل الإسلام في صدر الأمر أنهم على شيء واحد^١.

وكلما ازداد العبد معرفة الله سبحانه وتعالى، ازداد إيمانه وقوي يقينه في القلب، حتى وصل إلى درجة الإحسان وهو أعلى الدرجات التي قد يصلها الإنسان في عبادته لله تعالى. وكان الإحسان أحد الأسئلة الأربعة التي طرحها جبريل على النبي ﷺ - غير الإيمان، والإسلام، وموعد القيامة - حيث أتى ليعلم الناس دينهم: ما الإحسان؟ قال النبي ﷺ: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" - صحيح البخاري، رقم: ٤٧٧٧-.

وقد أرسى الإسلام حرية العقيدة ورفض كل صور الغلو والتطرف والتشدد، ورفض كذلك أشكال الإكراه على عقائد الناس، لأنها متعلقة بالقلب وبالذات الإنسانية، يقول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وذكر الإمام أبو منصور الماتريدي عدة تأويلات لهذه الآية: أي: لا يكره على الدين. فإن كان التأويل هذا فهو على بعض دون بعض. وقال بعضهم: نزلت في الجوس، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، أنه يقبل منهم الجزية، ولا يكرهون على الإسلام. ليس كمشركي العرب ألا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، ولا يقبل منهم الجزية، فإن أسلموا وإلا قتلوا. وقال قوم: (لا إكراه في الدين) أي: لا دين يقبل بإكراه، بل ليس ذلك بإيمان. وقال آخرون: قوله: (لا إكراه في الدين)، أي: لا إكراه على هذه الطاعات بعد الإسلام؛ لأن الله تعالى حبيب هذه الطاعات في قلوب المؤمنين فلا يكرهون على ذلك^٢. وهذا دليل على تعظيم الإسلام لشأن الحرية بأن جعل السبيل إلى إدراك وجود الله تعالى هو العقل الحر، فلا إكراه على أحد الدخول إلى دين الإسلام.

بل عاتب الله ﷻ نبيه حين طلب من الله أن يلعن الكافرين الذين حاربوه، وألا يكتب لهم الفلاح في الدنيا والآخرة، حيث قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾

^١ تأويلات القرآن، أبو منصور الماتريدي، ٣٢٠/٩، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

^٢ تأويلات القرآن، أبو منصور الماتريدي، ١٥٨/٢-١٦٠، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

[آل عمران: ١٢٨]. نزلت هذه الآية يوم أحد، حيث دعى النبي ﷺ: (اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية) -سنن الترمذي، رقم: ٣٢٧٤-. وقد فسر الإمام أبو منصور الماتريدي الآية: "قوله: (ليس لك من الأمر شيء): إنما أنت عبد مأمور؛ فليس لك من الأمر؛ إنما ذلك إلى الواحد القهار، الذي لا شريك له ولا ند ... وقيل: إن نفرا من المسلمين انهزموا، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، فنزل: (ليس لك من الأمر شيء)، فأمره بكف الدعاء عنهم"^١. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

فهو يعني بذلك أنه لا أحد يستطيع أن يكره مصير الناس، وهو ليس كذلك من شأن الرسول ﷺ، لأن القرار كله بيد الله وحده ولا يحق لبشر أن يتدخل فيه. ففي الدين الاختيار بين المؤمن والكفر، قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. ويبين الإمام أبو منصور الماتريدي وجوه معنى الآية: "أحدها: من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر؛ فإنه إنما يعمل لنفسه ليس يعمل لأحد سواه؛ والثاني: يقول: إني بلغت الرسالة إليكم فلا أكرهكم أنا على الإسلام ولا أحد سواي، فمن شاء منكم فليؤمن ومن شاء فليكفر، فإنه إنما يؤمن باختياره ومشيتته، ومن كفر فإنه يكفر باختياره ومشيتته لا يكره على ذلك. والثالث: أن الإيمان والكفر قد بين الله لهما العواقب ما عاقبة من اختار الإيمان وما عاقبة من اختار الكفر"^٢. ومحدثنا الإمام أبو منصور الماتريدي بأنه كان رسول ﷺ لشدة حرصه ورغبته في إيمان المشركين كاد أن يكرههم على الإيمان إشفافاً عليهم، ولكنه مهما كان، فإن الإيمان لا يكون في حال الإكراه والإجبار، لأن الإكراه يزيل الفعل عن المكروه كأن لا فعل له في الحكم^٣.

ومما سبق من الآيات يتضح بأن الحرية هي روح العقيدة الإسلامية، وأنها أساس لتحقيق إنسانية الإنسان (Humanitarianism)، وسلبها هو سلب للحقوق الإنسانية، وهي عملية تتطلب سعياً متواصلاً، فالحرية فعل واكتساب، وليست مجرد هبة أو منح. وفي هذا الصدد نستطيع القول بأن استخدام القوة في جميع الأحوال، هو نوع من أنواع الإكراه والعنف، وأن الإسلام بريء منها. بل نستطيع القول بأن الحرية هي أول نعم الله ﷻ على عباده، فوهبه المقدرة على العقل، وعلى الامتناع عن الفعل، فهو حر في اختياره، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]. يقول الإمام أبو منصور الماتريدي: "أي: عرض على أهل السماوات وأهل الأرض وأهل الجبال، فلم يحملوها، إلا الإنسان منهم فإنه حملها"^٤.

^١ تأويلات القرآن، أبو منصور الماتريدي، ٢/٤٠٩-٤١٠، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

^٢ تأويلات القرآن، أبو منصور الماتريدي، ٩/٥٠-٥١، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

^٣ تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ٧/١١٤-١١٥، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

^٤ تأويلات القرآن، أبو منصور الماتريدي، ١١/٣٩٥، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

فهذه الآية تبين لنا أن أول معنى للإنسان هو حرّيته، وقدرته على الاختيار، وكانت حرّيته في قوله تعالى: (عَرَضْنَا)، وكانت قدرته على الاختيار في قوله تعالى: (وحملها الإنسان).

وعلى صعيد آخر، أعلن النبي ﷺ أن الغاية الأسمى من بعثته هي إتمام صالح الأخلاق ومكارمها، أي نشر الفضيلة، ومعالى الأخلاق السامية ومحاسنها بين الناس سواء كان فرداً أم أسرة، أم جماعة أم مجتمعاً بأسره. وتلك هي أخلاق الصدق، والأمانة، والعدل، والرحمة، والحلم، والشجاعة، والتواضع، والكرم، والحياء، والزهد وغيرها. وفي ذلك صرح الرسول ﷺ قائلاً: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق" -السنن الكبرى، البيهقي، رقم: ٢٠٥٧١-. وفي رواية أخرى يقول: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ" -مسند أحمد، رقم: ٩١٨٧-. والحديث يدل على أن الأخلاق السامية مطلوبة في كل أديان، لأنها تشترك فيها الأديان السماوية، وجاء النبي ﷺ مكملًا لتلك الأخلاق، ومن هذا المنطلق، كان النبي ﷺ مثالاً حيّاً للأخلاق العالية الرفيعة. وقد قرر الله تعالى هذه الخصوصية لنبيه ﷺ: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم: ٤]. يقرر الإمام أبو منصور الماتريدي بأن خلقه العظيم: هو القرآن، ومعناه ما أدبه القرآن؛ والخلق العظيم: هو الإسلام، والإسلام هو الاستسلام والانقياد لأمر الله تعالى، وقد استسلم لذلك، وسلم الناس من لسانه ويده، ومن كل أنواع الأذى، وذلك من أعظم الخلق^١.

فص كلام الإمام -رحمه الله- في تعريفه للإسلام يشير إلى منع التطرف فكرياً وعملاً، لأن الإسلام دين السلام والتسامح والمحبة، فالناس في سلامة من يده، ولا يجرح مشاعر الناس بسبب لسانه. وعلى أية حال، فإن الرسالة المحمدية تدعو إلى الرفق دون التطرف، والتشدد، والغلو في الممارسات والأعمال، والعقائد، والأفكار. يقول النبي ﷺ: "هلك المتنطعون قالها ثلاثاً" -صحيح مسلم، رقم: ٤٨٢٣-. والمتنطعون هم المبالغون في الأمور. ويقول النبي ﷺ: "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة" -صحيح البخاري، رقم: ٣٩-. ويقول: "يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا" -صحيح البخاري، رقم: ٦٧-. ويقول: "أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة" -صحيح البخاري، رقم: ٢٩-. وفي هذا يخاطب الله تعالى نبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ويفسرها الإمام أبو منصور الماتريدي قائلاً: "فيجب أن يكون الإنسان رحيماً على خلقه... وقد أمر الله عباده أن يعامل بعضهم بعضاً بالرحمة واللين"^٢.

^١ تأويلات القرآن، أبو منصور الماتريدي، ١٠/١٦، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

^٢ تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ٤٥٦/٢-٤٥٧، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، ٢٠٠٥م.

الخاتمة:

وقد حاولنا في هذا البحث قدر المستطاع تحليل وتفصيل خلفية هذا الفكر المتطرف وأثبتنا بأنه من التحديات الكبرى للفكر الإسلامي المعاصر، ولم يعد لنا إلا النداء إلى الصوت الإسلامي المعتدل الذي ينادي بالتوازن ونبد الغلو والتطرف. وأكد البحث على ضرورة الاهتمام بالعقيدة ومكانتها في التوعية الدينية. وأشار البحث إلى أن تعاليم الكتب السماوية الثلاثة -التوراة، والإنجيل، والقرآن- لا تدعو إلى التطرف والعنف، بل رفضته رفضاً تاماً وتقاومه بشدة. وعن مشكلة التكفير، فنلاحظ أنها تأتي بالتدرج، فتبدأ بالتضليل، ثم التبديع، ثم التفسيق، ثم التكفير، وتنتهي بالعنف والإرهاب. وهذا التكفير خطيرة للغاية، لأنه يتعلق بالمحنة الأخيرة لكل الناس، أي وصولهم إما إلى الجنة أو إلى النار. وفي معالجة هذه الظاهرة علينا منعها بالتوجيه الفكري بأن طريقة المنع تكون بالترقية بين أصول الدين وفروعه في المسائل الاعتقادية. وبذلك لا يجوز التكفير في المسائل الفروعية للعقيدة، وكون المسألة عقديّة لا يعني عدم الاختلاف فيها، وهذا الاختلاف والاتفاق ينظر بناءً على قطعية الأدلة وظنيّتها، فالمسائل العقائدية التي بنيت على الأدلة القطعية ثبوتاً ودلالة، ولا تحتل الخطأ أبداً حتى لا يعتذر أي مخالقات فيها فهي في حد ذاتها من أصول العقيدة، وأما المسائل العقائدية التي بنيت على الأدلة الظنية ثبوتاً ودلالة أو على الأدلة القطعية ثبوتاً والظنية دلالة، فتحتمل الخطأ والصواب حتى يعتذر مخالفتها فهي من فروع العقيدة. إذن فعلى أن نبني دور العقيدة في مواجهة التطرف الفكري والتكفير، ويمكن من خلالها تعزيز الخطاب الإسلامي المعتدل، وتأسيس قيم التسامح، واحترام حقوق الإنسان وقبول الآخر. وخير الوصية وصية النبي ﷺ بابتعاد الغلو في الدين قائلا: "يا أيها الناس، إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين" -سنن ابن ماجه، رقم: ٣١٤٤-.

المصادر المراجع

- بول بوشان، العنف في الكتاب المقدس، دار المشرق، بيروت-لبنان، ٢٠٠٥م، ترجمه من الفرنسية: صبحي حموي اليسوعي.
- تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ٢٠٠٢م.
- تأويلات القرآن، أبو منصور الماتريدي، دار الميزان، اسطنبول-تركيا، تحقيق: أحمد وائلي أوغلي، مراجعة: د. بكر طويال أوغلي ٢٠٠٥م.
- تهذيب اللغة، الأزهرى، دار إحياء التراث العربى، بيروت-لبنان، ٢٠٠١م.
- الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٩٩٠م.
- العقيدة الإسلامية والقضايا الخلافية عند علماء الكلام، كمال الدين نور الدين مرجوني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠١٤م.
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ٢٠٠٥م.
- كتاب التوحيد، أبو منصور الماتريدي، دار صادر، بيروت-لبنان، مكتبة الإرشاد، استانبول-تركيا، تحقيق: بكر طويال أوغلي، محمد آروثشي، ٢٠٠١م.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت-لبنان، ١٩٩٧م.
- معالم التنزيل، البغوي، دار طيبة، الرياض-مملكة العربية السعودية، ١٩٩٧م.
- معاني القرآن، الزجاج، عالم الكتب، بيروت-لبنان، ١٩٨٨م.
- معجم الكمال للمتراكفات، كمال الدين نور الدين مرجوني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠٢١م.
- معجم اللغة العربية المعاصر، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بيروت-لبنان، ٢٠٠٨م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٦٠م.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٩٩٧م.
- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠٠٠م.
- مكافحة التطرف -التحديات والفرص- ٧ ديسمبر ٢٠١٩م.
- مناهج التمييز بين الأصول والفروع في العقيدة، والشرعية، والأخلاق عند أهل السنة والجماعة، محمد رزق بن حسين شهاب، مخطوط رسالة الدكتوراه مقدمة إلى قسم الدعوة والإدارة الإسلامية، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، وقمت مشرفا للرسالة التي نوقشت بتاريخ ٢٠٢١/٤/١٥م.

- موقف التوراة والأنجيل والقرآن من الإرهاب -دراسة مقارنة-، د. محمد حسين محمدي الإيراني، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في أصول الدين ومقارنة الأديان، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، سنة ٢٠١٩م. وكنت مناقشا خارجيا لهذه الرسالة بتاريخ، ١٢/أبريل/٢٠١٩م.

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، دار المعرفة، بيروت-لبنان، بدون تاريخ.
- النكت والعيون، أبو الحسن الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠١٢م.

- Counter Extremism Project – ISIS. Defining extremism / radicalisation and types of extremism
- <https://eeradicalization.com/ar/>
- https://sotor.com/%D9%85%D8%A7-%D9%87%D9%88-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B7%D8%B1%D9%81/#cite_note-d07758af_29ea_4351_8508_b20210a52e47-7
- <https://web.archive.org/web/20180409190619/http://www.alukah.net:80/translations/0/47795/>
- <https://www.aucegypt.edu/news/stories/terrorism-vs-extremism-are-they-linked>
- https://www.counterextremism.com/taxonomy_term/1008/printable/pdf
- <https://www.lexico.com/definition/islamophobia>
- <https://www.middlesbrough.gov.uk/community-support-and-safety/prevent/defining-extremism-radicalisation-and-types-extremism> Extremism, Collins dictionary, Retrieved 18/2/2021. Ed